د. سالم ساري أستاذ علم الاجتماع لـ« الشرق »:

الإعلام الغربي ليس بريئاً في علاقته بالعالم العربي

□ حوار- هديل صابر

طالب الدكتور سالم ساري أستاذ علم الاجتماع بكلية الانسانيات والعلوم الاجتماعية جامعة قطر كافة مجتمعات الثقافة العربية بضرورة التفاعل مع العالم الغربي مؤكداً على ضرورة الحفاظ على الهوية الثقافية الاسلامية وذلك بانتهاج استراتيجية «حفظ المسافة الملائمة» التي تعنى بضرورة حفظ المسافة بين الذات والآخر، بحيث نلتقي مع الغرب ونقترب منهم ونتفاعل معهم بقدر محسوب كما لابد ان نبتعد عنهم ونحجم التفاعل معهم ونحذر منهم بقدر محسوب دون تضخيمه وبنفس الوقت دون تبخيسه أو تحجيمه.

خوف غير مبرر

واوضح الدكتور ساري في حوار مسرح مع «الشرق» أن هذه الاستراتيجية شأنها تأهيل المجتمعات العربية لخوض غمار المعركة التنافسية مع دول العالم الغربي باستقلالية وندية كما يضمن تفاعلاً متكافئا دون تابع أو متبوع وبدون هيمنة أو رضوخ لأي من الطرفين.

وتساءل الدكتور خلال حديثه عن خوف بعض المجتمعات العربية غير المبرر من خوض غمار تجربة التفاعل العالمي وخاصة في المجال الثقافي حيث أوضح قائلاً: بأنه لابد من خوض هذه التجربة التنافسية بكامل الجرأة والشجاعة لما تتميز به ثقافتنا من قوة وأصالة اضافة إلى ان الثقافة العربية لها اسهامات عديدة بالحضارة العالمية وقد كان هذا لعدة قرون حيث قدمت الحضارة العربية -المستمدة من الشريعة الاسلامية -العديد من القيم كالمساواة والعدل والتعاون الحضارة العالمية كحل أمثل للعديد من مشاكل العنصرية واللون والعرق.

وقال ان الأولى بالخشية من التفاعل هي الثقافات المتزددة والخجولة حيث ليس لها مكان في عالم الصراع الثقافي اصلا! مؤكداً ان الانطوائية أو «التشرنق» بحجة الحرص على القيم والعادات والتقاليد داء ينهش بالثقافة لذا يجب ان نتواجه مع العالم من خلال ثقافتنا لنؤثر ونتأثر بهم فلا مجال للعيش على هامش التاريخ الانساني والمكان لايتسع للثقافات المحلية الضيقة الشبيهة بثقافات الانثروبولوجيا الناتجة عن الحياة البدائية المعزولة موضحا ان عالم اليوم عالم ثقافي ثري فسيفساني متنوع الروافد ومتعدد الاسهامات.

الإعلام الغربي مسيطر

هذا وقد تناول الدكتور ساري وضع الاعلام الغربي وتأثيره على هيمنة الأسرة العربية مشيرا إلى ان الاعلام بشكله الحالي قادر على ان يسيطر على التنشئة الاجتماعية وعلى قواعد الاسرة وقوانينها والسبب يعود لقوة تأثيره وجاذبيته في ايصال الرسالة من خلال الصوت والصورة حيث ان خطاب الاعلام حديث وعصري ومتجدد يلبي احتياجات افراد الاسرة في كثير من المجالات بينما خطاب الاسرة او أسلوب ايصال الرسالة أسلوب تقليدي وتراثي متكرر وممل، وذلك نظراً لطبيعة ادوار الاسرة ومهامها داخل المجتمع حيث لاتملك الا ان تكون مع الخط المجتمعي ضمن القيم والعادات والتقاليد ومع الأخلاقيات العامة السائدة بالمجتمع مشيرا الى البون والفرق الشاسع بين المتجدد والمتحرك الذي يمثله الاتصالي أو الاعلامي وما بين الساكن والمألوف الذي تمثله الأسرة، حيث من الواجب على الأسرة العربية في هذا اليوم ان تعي بأنها تواجه تحديا خطيرا لها قادرا على ان يتصدى لمهامها ازاء الجيل الناشئ، بعكس ما كانت عليه سابقا حيث هي الأساس في تربية الأبناء، وتنشئتهم التنشئة السليمة لذا لابد ان تشحذ الأسرة همتها في المنافسة لكي تحظى بثقة أبنائها.

وسائل لا أخلاقية

وأكد الدكتور ساري على عدم المبالغة في النظر إلى وسائل الاتصال بعين السلبية وهذا من خلال عدم التركيز على التأثيرات السلبية لأن تأثيرات وسائل الاتصال السلبية الحكم عليها حكم نسبي يعتمد على الشخص نفسه لذا لابد من عدم تضخيم آثارها وتأثيراتها على الشباب كما يجب عدم مقاطعتها باعتبار انها لا أخلاقية او انها مصدر من مصادر الانحلال، حيث من أهم ميزات وسائل الاتصال في العصر الحالي في كونها تقدم البديل للفرد العربي من كونها تجعل العالم العملاق عالماً صغيراً بين يديه من خلال وسائل الاتصال والتكنولوجيا التي تقدم له بديل الهوية حيث تسعى وسائل الاتصال دائماً إلى ان تقدم للفرد العربي البدائل لكي تخرطه بالعالم الخارجي عوضاً عن انحساره في بوتقة المحلية وهذا يعتبر من الأمور الطبيعية طالما نتحدث عن الاعلام الغربي الموجه للعالم العربي بما يحمله من فضائيات وتكنولوجيا معلومات الأمر الذي جعل العديد من المجتمعات العربية وخاصة الاجيال القديمة منها ان تتخوف من تأثيرها على الجيل الناشئ، لأن العالم العربي مازال يجتر صراع الأمس مع العالم الغربي.

□ د. سالم ساري

الأسرة العربية أصبحت تواجه منافسا خطيرا أمام مهامها

العلاقة تشاطرية ضدية

واستطرد الدكتور حديثه بقوله «إنّ» هذا الامر من المفترض ان ينجلي لأن الاشكالية تكمن في كيفية أنتقاء الشباب ما يفيدهم من اعداء الامس؟! حيث العالم الغربي لم يَعد ذلك العدو المستمر وإن كان هناك عداءً بيننا وبينهم والعلاقة معهم تشاطرية ضدية بمعنى كل منا يشكل هاجساً بمخيلة الآخر انه لا صعود لأحد الطرفين الا بسقوط آخر، وقد تأججت هذه الصورة منذ الحروب الصليبية وإلى حقبة الاستعمار والاستشراق والتبعية وكانّ الزمان لا يتسع الا لطرف دون الآخر، وهذا ما سلكه العالم الغربي في طريق تطوره حيث لم يعد يهتم كثيراً بنقيضه العربي فهو يصنع انجازاته متفرداً مما جعل الوعي الجمعي العربي مازال يحتفظ للغرب «أميركا اليوم» بكثير من رواسب الماضي من جراء حقبة الاحتلال التي شملت الاوساط العربية انذاك.

حيث كانت تلك الصورة الاولى لموقف العرب من الغرب، والصورة الثانية تَبَنّتْ إنّ الغرب حاول تقديم نفسه للعرب بأنّ انجازاته ليست حكراً له وانما لا ضير وإن استفاد منها العالم العربي لذا لم يحاول العالم الغربي قط ان يقرن انجازاته بالدين لذا كافة انجازات العالم الغربي لم تكن مغلفة بغلاف ديني وهذا لإزالة حساسية الدين التي لدى العرب مما ينجزه الغرب لهدف الاستفادة منه ولتأطير الدين وانحساره وهذا لإزالة رواسب الحساسية الجاثمة في نفوس العرب من جراء العداء الماضي.

انقسامات عربية

واشار الى انّ هاتين الصورتين سببتا انقسامات عديدة في مواقف العرب المسلمين تجاه الغرب لم تسببها أية قوة اخرى بالتاريخ، حيث لم يُسَجل التاريخ اختلافاً في مواقف المسلمين حيال اي جهة كموقفهم تجاه الغرب حيث انقسموا حياله لطوائف واحزاب وملل منها من نادت بمقاطعته وبعضها حاول ان يوفق بيننا وبينهم وطوائف دعت للارتماء بأحضانه، وقال رغم هذه المواقف المتضاربة ازاء تحديد موقفنا من الغرب مازال خوف العرب خوفاً مقيماً يسكن تفاصيل الحياة العربية فكثيرة هي الافكار التي تعتقد حيال الغرب المتآمر الذي مازال يضلل ويستعبد ويهيمن على العالم العربي بأفكاره.

وحول حقيقة العالم الغربي حيال المجتمعات العربية اوضح الدكتور ساري أنّ الغرب ليس بريئاً تماماً أو موضوعياً في علاقته مع العالم العربي فهو متغير ومتقلب ينتقل من حالة لأخرى سعياً وراء مصالحه حيث مصالحه هي التي تشكله حيث الحقائق التي يصنعها الغرب هي الحيادية والموضوعية من وجهة نظرهم وإن كان كثيراً منا يؤمن تماماً بأن الغرب هم أصحاب المعايير المزدوجة معيار الكيل بمكالين فقط لمن هو قادر على تحقيق مصالحه وهذا واضح حيال تعامله مع الربيبة اسرائيل وتقول اسرائيل لأن الغرب هو «اميركا» التي تعتبر القوة الضاربة في العالم الغربي، لذا من السذاجة ان نعتقد ونتوقع من الغرب التعاون معنا دون اهداف بعيدة المدى يودون تحقيقها من خلالنا.

واستطرد قائلا؛ إن الغرب اليوم ليس هو غرب امس وليس غرباً واحداً وانما فضاء واسع تقوده الولايات المتحدة الاميركية واوروبا الموحدة. وعرج على جانب آخرٍ من الموضوع باعتقاده ان الشباب العربي اليوم لا يحمل تجاه الغرب من رواسب الماضي الكثير والسبب يعود لكونهم اكثر انفتاحاً وقابلية للتعامل معه واستجابة لرسائله المختلفة المرسلة لهم عبر وسائل الاتصال المختلفة الأمر الذي يقودنا مشكلة أخرى هي «العولمة» التي تهدف لإذابة كافة الحواجز النفسية والسياسية والاقتصادية والثقافية بين العالم العربي و«أميركا» وهذا لمزيد من الانخراط ولتحظى بتبعية العالم العربي لثقافتها ولنهج حياتها خاصة وان اتضح الامر بأن العولمة هي «الامركة» بثوبها الجديد، حيث العولمة كما نعلم ما هي الا اعادة لصياغة الغرب الاميركي بوجه متجدد بري، له فائدة ليلقى صدى مدوياً بسماء دول مجتمعات الثقافة العربية..